الغـــرور: مفهومه– أقسامه– طرق الحماية منه من وجهة نظر الإسلام

جلال الدين محمد حسن صبره: أستاذ القانون المدني المشارك – كلية القانون – جامعة سرت

مقدمة

الحمد الله الذى خلق الإنسان وعلمه مالم يعلم، ورزقه التمييز بين سنن الهدى وسبيل الغي، جل من قادر مهيمن أضل وهدى وأحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عدداً، المتفضل على خلقه بالمنطق الفصيح وجوهر العقل الذى يرشده في كل ضنك وفسيح ويفرق به ما بين الباطل والصحيح.

وأشهد أن الا إله إلا الله وأن محمداً عبده، الذى شرح صدره ورفع ذكره، ورسوله الذى بلغ نهيه وأمره، بلغ الرسالة كما تحملها وفصلها للخلقية أي تفصيل ، فصل الله عليه من رسول طاهر كريم، حف من الله بالسعادة والتكريم وأتحفه بآياته العلي العظيم "ولقد أتيناك سبع من المثاني والقران العظيم"[1] وصلى اللهم على أصحابه أئمة الهدى ومصابيح الظلام وعلى السادة التابعين والعلماء العاملين "ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط المستقيم"[2]

لا يخفى على علم القارئ العزيز أن هناك آفات يمكن ان يصاب بها بعض عباد الله العاملين، فإذا ما أبتلى المرء بإحداها أدت إلى إحباط عمله، وأمثلتها كثر كالفتور وضعف الهمة والاستعجال والإعجاب بالنفس والكبر والغرور.....الخ.

لذلك أرادت أن أتناول بالبحث أخطر هذه الآفات الا وهى الغرور، ولاسيما إذا إبتلي بهذه الآفة العلماء، فإذا ظن المرء أنه بلغ من العلم درجة تجعله بمكانة عند الله، فتسكن نفسه إلي ذلك، ويهمل العمل الذى يقتضيه العلم، فيفعل ما تصبو إليه نفسه من اللذات وأتباع الشهوات لشبهة أن العلم فضيلة في ذاته وهو كاف في

[1] - سورة الحجر اية 87.
[2]- سورة أل عمران اية 101.

النجـاة، فهـذا جهـل عظـيم وغـرور شـديد، فـالعلم لـم يمـدح الا لمـا يترتـب عليـه مـن صـلاح المجتمـع ومنـافع النـاس، أما مجرد الحصول عليه بدون تلك الفائدة فإن ضرره أكبر من نفعة.

فالعالِم قدوة للناس فإذا لم يكن عاملاً كان شراً ووبالاً، لأن الناس معه على حالتين :

أولهـا : إعتقـاد أن مـا يفعلـه العـالم يقره الشـرع و يرضـاه الـدين، وهـذا لحسـن ظـنهم بعلمـائهم ونزاهـة عقيـدتهم فـيهم، وذلك فتنةً في الأرض وفساد كبير، لأنه يجعل الناس يعتقدون أن الحرام حلال والباطل حق.

ثانيهـا : يعتقـد الـبعض أنـه لـو أقتـدى المـرء بالعـالم فـي أمـر قـد لا يرضـاه الشـرع، يكـون لـه كـل العـذر، وبـذا يسـهل على الناس إرتكاب الآثام والذنوب أقتداء بالعالم المغرور.

والغـرور قـد يكـون باعتقـاد المـرء بـأن قيامـه بـبعض العبـادات كافيـة فـي نجاتـه، ولا حـرج عليـه لـو أرتكـب بعـض الموبقات، فتسكن نفسه إلى ما يهواه من هذه الموبقات لشبهة فاسدة.

وقد يغتر المرء بالدنيا وزينتها والإنصراف عن الأخرة، وشر ما يترتب على ذلك الكفر بالله أو عصيانه.

لذلك سيتم تقسيم هذا البحث ان شاء الله تعالى إلى ثلاثة مباحث :-

- المبحث الأول : مفهوم الغرور وأسبابه.
- المبحث الثاني : أقسام الغرور.
- المبحث الثالث : وسائل حماية النفس من الغرور.

فـإن وفُقـت فـي بحثـى المتواضـع فالفضـل والشـكر لله وحـده، وإن كانـت الأخُـرى، فحسـبي أنـي أردت الخيـر وبـذلت فيه الجهد والله المستعان.

المبحث الأول: مفهوم الغرور وأسبابه .

ويتم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين :-

- المطلب الأول : مفهوم الغرور لغة وإصطلاحاً.
- المطلب الثاني : أسباب الغرور.

المطلب الأول : مفهوم الغرور لغة واصطلاحاً .

أولاً : الغرور لغة:

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية تبين لنا هناك عدة معان للغرور نجملها فيما يلى:-

1- الغرور بالضم ما أغتر به من متاع الدنيا، والغرور الأباطيل[1]. بدليل قوله تعالى" يا أيها الناس إن وعد الله حق، فلا تغركم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور"[2].

2- قد يأتي الغرور بمعنى الأعجاب والعجب لحسن الشيء، والغّري هو الحسن ثم سمي العجب غروراً.[3]

3- وقد يأت بمعنى الخداع : غَرة يغره غروراً، أي خدعه كقوله تعالى "وما يعدهم الشيطان إلا غروراً"[4].

4- والغرير بمعنى الشاب لا تجربة له، والغرارة: الغفلة وحداثة السن. ويقال عن الدنيا الغرارة[5].

ثانياً : الغرور في الاصطلاح:

جاء في اصطلاح العلماء عدة معان للغرور نذكر منها :

1- الغرور هو سكون النفس إلي ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع لشبهة فاسدة.[6]

2- وعرفه البعض" بأنه الجهل والحمق والضلال يقول عزالدين بن عبد السلام "إن مدار الغرور كله الجهل، فما أغتر الكافر بعبادته الإ جهلاً منه بحبوطها، وما اغتر المبتدع ببدعته إلا جهلاً منه ببطلانها، وما أغتر الغني بغناه إلا جهلاً منه بأن المال فتنة ومحنة وظناً أنه كرامة ونعمة، وكذلك اغترار العابد بعبادته والزاهد بزهده والعارف بمعرفته، وإقدام هؤلاء على معصية ربهم ظناً أن الله عز وجل لا يؤخذهم لقربهم إليه وكرامتهم عليه.[7]

يقول تعالى "إن الكافرون إلا في غرور"[8]. فظن الكفار أن الهتهم تقربهم إلى الله تعالى حمق وضلال منهم .

---

[1]- لسان العرب: لابن منظور ط1بيروت 1979ص 5ص12.
[2]- سورة فاطر آية 5
[3]- معجم مقاييس اللغة : لابن فارس تحقيق عبد السلام محمد هارون 4ط بيروت1999ص419.
[4]- سورة النساء اية 120.
[5] المحيط في اللغة: الصاحب بن عبادة عالم الكتب بيروت ط4 1999ص511
[6]- أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبى: الجامع الاحكام القرآن ط 1988 القاهرة ط5 ص216.
[7]- عز الدين بن عبد السلام: مقاصد الرعاية لحقوق الله، تحقيق أياد الطباع ط دار الفكر دمشق سوريا ص156.
[8]- سورة الملك اية 20.

3- وعرفه أخرون بأنه إخفاء الخدعة في صورة النصيحة، وجاء في هذا المعنى قول الله تعالى" وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً[1]. أي أن شياطين الجن والأنس يخدع بعضهم بعضاً بالقول المزخرف، ويزينون الأعمال القبيحة غروراً، ويظنون أنها الحق والصواب[2].

يتضح مما سبق ذكره مدى التلاقي بين المعنى اللغوي والأصطلاحي، فالغرور حسب المعاني السابق ذكرها لا يخلو من الخديعة والغفلة والجهل وإتباع الشهوات والهوى .

ثالثاً : التفرقة بين الغرور وما يلتبس به من اصطلاحات:

1. الفرق بين الغرور والإعجاب بالنفس :

الإعجاب بالنفس في الاصطلاح السرور والفرح بالنفس عما يصدر عنها من أقوال أو أعمال من غير تعد أو تجاوز على الأخرين.[3]

أما إذا تعدى هذا الإعجاب إلى احتقار ما يصدر عن الاخرين بجانب ما يصدر عنه فهذا هو الغرور.

فالإعجاب إذا يكون في النفس وما تظنه من فضائلها، والغرور يتعدى بإعجابه على الاخرين فيظن أنه أكرم على الله من باقي خلقه.

2. الفرق بين الغرور والكبر :

الكبر في الإصطلاح "إظهار المرء إعجابه بنفسه بصورة تجعله يحتقر الآخرين في أنفسهم وينال من ذواتهم ويترفع عن قبول الحق منهم فيرى نفسه أكبر من غيره" [4] . جاء في هذا المعنى قول الله تعالي "وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا أبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين"[5].

أي تعظم وتكبر عن طاعة الله في السجود للأدم.

---

[1]- سورة الانعام اية 112.
[2]- أبو جعفر محمد جرير الطبرى: جامع البيان في تفسير القرآن ط5 ص465 طبعة احياء التراث القاهرة
[3]- أبو حامد محمد الغزالي: احياء علوم الدين ص3 دار المعرفة بيروت ص236.
[4]- أبو حامد محمد الغزالي: المرجع السابق ص242.
[5]- سورة لبقرة اية 34.

وحديث النبيﷺ "الكبر بطر الحق وغمط الناس"[1].

فالكبر يفترق عن الغرور في التعد على الأخرين باحتقارهم في أشخاصهم والترفع عليهم.

3. الفرق بين الغرور والثقة بالنفس:

الثقة هي عين التوكل وسويداء قلب التسليم.[2]

فالثقة بالنفس تكون بعد التوكل على الله والأخذ بالأسباب، أما الغرور وهو سكون النفس إلي ما يوافق الهوى. فهذا يعني التوكل على الذات.

المطلب الثاني : أسباب الغرور

سبق أن ذكرنا أن الغرور سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع لشبهة فاسدة لذلك يمكننا القول بأن أسباب الغرور في جملتها ترجع إلي حالات نفسية فالغرور مرض نفسى وهذا ما سنبينه فيما يلي :-

1. عدم محاسبة النفس وإطلاق العنان لها.

أهمال محاسبة النفس يترتب عليها زيادة الإعجاب بها حتى تصل إلى حد إحتقار ما يقع من الأخرين، لذلك أوصى الله تعالى بضرورة المحاسبة، يقول تعالى "يأيها الذين أمنوا أتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد"[3].

ويترتب على عدم المحاسبة للنفس الإفراط في الرجاء وطول الأمل، فالرجاء في الله تعالى على ثلاثة أنواع :-

النوع الأول : رجل عمل بالطاعة وراج لثواب الله.

النوع الثاني : رجل أذنب ثم تاب وراج لمغفرة الله وعفوه.

النوع الثالث : رجل متماد في التفريط وراج لرحمة الله بغير عمل.

فالنوع الثالث هو الرجاء الكاذب والغرور.[1]

[1]- أبن حجر العقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري طبعة بولاق القاهرة جـ 13 ص41.
[2]- الطبري: المرجع السابق ص149.
[3]- سورة الحشر اية 18.

أمـا طـول الأمـل بمعنـى الحـرص علـى الـدنيا والحـب لهـا والإعـراض عـن الأخـرة وهـذا يـؤدى للغـرور بانشـغال المـرء توقع طول العمر واستقامة الأحوال على الأيمان والطاعة.[2]

أمـا قصـر الأمـل فهـو العلـم بقـرب الرحيـل وسـرعة إنقضـاء الأجـل، فهـذا يبعـث علـى إنتهـاز الفـرص فـي الطاعـة والعبـادة لـذلك جـاء فـي الحـديث الشـريف" الكـيس مـن دان نفسـه وعمـل لمـا بعـد المـوت والعـاجز مـن أتبـع نفسـه هواها وتمنى على الله".[3]

2. الغلو والتشدد في الدين وتعلم غرائب وشواذ المسائل:

فمـن يقبـل علـى مـنهج الله فـي غلـو وتشـدد وينظـر لمـن حولـه مـن العـاملين الـذين يسـلكون منهجـاً وسـطياً بـأنهم مفرطون، ويتمادى في ظنه إلى حد إحتقار ما يصدر عنهم من عمل فهذا هو الغرور.

الجـدير بالـذكر أن الإسـلام دعـا إلـى الوسـطية وحـذر مـن الغلـو والتشـدد فـي الـدين، وذلـك فـي العديـد مـن الأدلـة. يقـول الله تعـالى "يريـد الله بكـم اليسـر ولا يريـد بكـم العسـر".[4] وقـول النبـيﷺ "إن الـدين يسـر ولـن يشـاد الـدين أحـد إلا غلبـه".[5] وقولـهﷺ "هلـك المتنطعـون".[6] وقولـه "مـا خيـرت بـين أمـرين إلا أختـرت أيسـرهما مـالم يكـن أثمـا"، ولقـد ضـرب صـلوات ربـى وسـلامه عليـه أروع الأمثلـة فـي أتباعـه ﷺ الوسـطية حينمـا قـال للـذين أرادوا أعتـزال الحيـاة "أمـا والله إنـي لأخشـاكم لله وأتقـاكم لـه لكنـي أصـوم وأفطـر وأصـلى وأرقـد وأتـزوج النسـاء فمـن رغـب عـن سـنتي فلـيس منى".

ونهـى الإسـلام عـن تعلـم غرائـب وشـواذ المسـائل، وأعتبـر ذلـك مـن قبيـل العلـم الـذى لا ينفـع والـذى اسـتعاذ منـه النبيﷺ فقال "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع....."

ويقول الامام مالك بن أنس أمام دار الهجرة "من تكلم بغريب الكلام فقد كذب".[7]

3. التقليل من شأن العلماء أهل القدوة والأسوة:

---

[1]- أبن كثير: تفسير القران العظيم ص3 طبعة دار الشعب القاهرة1995 ص78.
[2]- القرطب: المرجع السابق ص512.
[3]- فتح الباري شرح صحيح البخاري: جـ 5 ص 309.
[4]- سورة البقرة اية 185.
[5]- المنذري: شرح مختصر سنة أبى داوود جـ 3 ص115.
[6]- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى، سنة النسائى القاهرة جـ 317ه ص3ص22.
[7] د.علي البدرى الشرقاوي: الامام مالك وأثره في الفقه رسالة دكتوره جامعة الأزهر مصر ص70.

وقد يلجأ بعض العلماء في أحوال معينة للأخذ بالرخصة وترك العزيمة لسبب من الأسباب الموجبة لذلك، فيظن قليل العلم والفقه بأن العالم الذى يفعل ذلك أقل منه علماً، ويلاحقه هذا الظن حتى يتحول إلى إعجاب بالنفس ثم الغرور.

لذلك نجد الإسلام أوجب على العلماء البعد عن مواطن التهم، وبيان وجه الحق في سائر التصرفات المباحة التي ربما تؤدى لسوء الظن.

وحديث النبيﷺ خير دليل على ذلك عندما كان واقفاً مع زوجته صفية بنت حيي رضى الله عنها وأرضاها عند باب السيدة أم سلمة رضى الله عنها وأرضاها مر رجلان من الأنصار فقال لهم صلوات ربى وسلامه عليه "على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي "فقالا سبحان الله يا رسول الله وكبُر عليهما فقال النبيﷺ"إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وأني خشيت أن يقذف في قلوبكما".[1]

4. التفرقة في المعاملة بين طلاب العلم:

وقد يحدث من بعض العلماء وأهل القدوة والأسوة، التفرقة بين طلابهم فتراهم يقربون البعض ويفسحون صدورهم لهم، ويتغاضون عن بعض "أخطائهم في الوقت الذى يعرضون فيه عن البعض الأخر فيفتحون عيونهم لادني هفواتهم ، فمثل هذا السلوك قد يدفع بالصنف الأول لعدم اكتمال شخصيته فيخطر بباله عظم إمكانياته ومواهبه، ويوجد عنده ما لا عند الأخرين، فيدفعه ذلك للغرور.

لذلك كان النبيﷺ حريصاً على معاملة أصحابه بالسوية، فكان يعطى كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه.[2]

أما إذا لجأ ﷺ إلى التفرقة في المعاملة لحكمة معينة بين ذلك لأصحابه.

فحينما أعطىﷺ عطاء لبعض الصحابة وترك رجلاً، بين حكمة ذلك فقالﷺ "يا سعد إني لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله في النار".[3]

[1]- الشوكاني: نيل الاوطار شرح منتقى الأخبار جـ 3ط دار المعارف1998 فـ16.
[2]-فتح الباري شرح صحيح البخاري: المرجع السابق ص311.
[3]- سنن أبى داود: المرجع السابق ص311.

5. الركون إلى الدنيا :

يقول الله تعالى "فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور".[1] فمن أسباب الغرور الإرتكان إلى الدنيا والاطمئنان بها وترك الأخرة والعمل لها.

لذلك حذر الله تعالى من أتخاذ الدنيا غاية فقال تعالى "إعملوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزنية وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً".[2]

وفي هذا المعنى حديث النبيﷺ "تعس عبد الدنيا وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطى رضى وإن لم يعط تعس و انتكس وإذا شيك فلا أنتقش....."[3]

وكان هذا منهج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، يقول على بن أبى طالب " أرتحلت الدنيا مدبرة وأرتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهم بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل".[4]

المبحث الثاني

أقسام الغرور

وسوف يتم تقسيم هذا المبحث إن شاء الله تتعالى إلى ثلاثة مطالب:-

- المطلب الأول : الغرور بالعلم.
- المطلب الثاني : الغرور بالعبادة.
- المطلب الثالث : الغرور بالمال والولد.

المطلب الأول : الغرور بالعلم

[1]- سورة فاطر اية5.
[2]- سورة الحديد أية20..
[3]- نيل الأوطار المراجع السابق ح 3ص 162.
[4]- احياء علوم الدين: المرجع السابق ص108.

وهذا الصنف من المغرورين يعتقد أن العلم الذى تعمق فيه وأشتغل به سواءً كان علماً شرعياً أم دنيوياً كافياً لنجاته من عقاب الله تعالى وأنه أصبح عند الله بمكانة عظيمة ومنزلة كبيرة فيترك العمل الذى يقتضيه العلم فيفعل ما تصبو إليه نفسه من الذات وإتباع الشهوات لشبهة أن العلم في حد ذاته كاف في النجاة.

فكما سبق أذكرنا أن العالم قدوة للناس، فينبغي عليه أن يكون عاملاً بعلمه حتى لا يكون فتنة للناس وسبباً في أغوائهم وأضلالهم باعتقاد أن الحرام حلال والباطل حق. ولو ذلك لما أقدم عليه العالم.

لذلك نجد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تزجر العلماء الدين لا يعملون قال تعالى "وأتل عليهم نبا الذى أتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين".[1]

فهذه الآية الكريمة تخبر عن عالم من علماء بنى اسرائيل أتاه الله علم بعض الكتاب فأنسلخ من الآيات أي كفر بها ونبذها وراء ظهره، وبذلك أتبعه الشيطان أي أدركه وصار قريناً له فصار من الكافرين.[2]

وكذلك قوله تعالى "كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون".[3]

وحديث النبيﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضى الله عنه سمع النبيﷺ يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتدلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون يا فلان ما شانك، الست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول كنت أمركم بالمعروف ولا أتيه وأنهاكم عن الشر وأتيه".[4]

ويقول النبيﷺ "مررت ليلة أسرى بي بأقوام تقرض شفاهم بمقاريض من نار، قلت من هؤلاء ياجبريل قال خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون"[5]

[1]- سورة الأعراف اية 175.
[2]- تفسير القران العظيم، المرجع السابق حـ 2 ص86.
[3]- سورة الصفة اية 2.
[4]- فتح البخاري شرح صحيح البخاري: المرجع السابق حـ9 ص409.
[5]- نيل الاوطار: المرجع السابق حـ 3ص411.

كفى بهذه الأحاديث الشريفة زجراً لعلماء السوء الذين يقولون مالا يفعلون، ويأمرون ولا يأتمرون، فهي تمثل نهياً لمن أغتر بعلمه فأهمل ما يجب عليه لمولاه، ويرض لنفسه أن يكون اسير الشهوات الفاسدة واللذات المحرمة.

فالآيات والأحاديث سالفة الذكر تعتبر نذيراً للعلماء، الذين خرجوا عن طاعة الله، وهدموا حدوده غروراً بالعلم وهم أحق الناس بتمحيص الأدلة، وأقدرهم على معرفة الصحيح والفاسد منها. فإهمال العمل شراً علي صاحبة، وعلى عباد الله تعالى .

فاللائق بالعلماء، وقد منّ الله عليهم بنعمة العلم أعلى النعم قدراً، محاربة شهواتهم والعمل بما يتطلبه العلم.

فالنبيﷺ قال "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[1]

لذلك ينبغي عليهم أن يكونوا أحق الناس بخشية الله، بقوله تعالى "إنما يخشى الله من عبادة العلماء".[2]

فهذا المدح الوارد في الآية الكريمة للعلماء العاملين الذين يخشون ربهم ويقدرونه حق قدره، ولا يبالون بأعراض الدنيا ولا يحفلون بلذاتها المحرمة وشهواتها الفاسدة.

الجدير بالذكر أن الاقتداء بعالم مغرور بعلمه، لا يعفي المقتدي من حساب الله تعالى ، فالحلال بيّن والحرام بيّن، فطالب العلم لا ينبغي له تقليد شيخة و استاذه في عمله المخالف لشرع الله تعالى.

وفي هذا المعنى جاء قول الشاعر :

خذ بعلمي ولاتركن إلى عملي

خذ الثمار وخلي العود للنار.

فالعلماء والفضلاء من طلبة العلم ينبغي أن يكونوا قدوة حسنة الناس ونموذجاً للخلق الرفيع ،وأن يتفادوا صفات الغرور المذمومة وخلاله المقيتة التي لا تليق بأي أنسان.

[1]- سنن أبى داود المرجع السابق ص12.
[2]- سورة فاطر اية28.

المطلب الثاني: الغرور بالعبادة

قد يغتر بعض العباد ببعض أعماله فيعتقد أنها كافية في نجاته، وأنه لا حرج عليه أذا أرتكب بعض الذنوب، كالإضرار بالناس والحسد والحقد والغيبة، فتسكن نفسه إلى ما يهواه من هذه الأعمال لشبهة فاسدة، وهي أن ما يقوم به من صلاة وصيام وتلاوة أوراد وأدعية كاف في نجاته، ومكفر للذنوب .

فهذا مغرور أثيم زين له الشيطان الشبهة الفاسدة ليورد الهلاك والخسران، فيحبط عمله وهو لا يدري .

بين لنا الإسلام ذلك بياناً شافياً قال تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره "[1]

ويقول النبي ﷺ"الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر "[2]

فمن أدى واجباً من الواجبات الدينية على الوجه الصحيح فأنه ينال جزاؤه خيراً، ومن قصر عن أداء واجب أو أداه لغرض فاسد فأنه ينال عليه عقاباً، فهذا يعاقب عليه وذلك يثاب عليه، وهذا هو العدل الكامل الذي يرضاه العقل وتستريح اليه النفس .

ليس من العدل أن يعتدي المرء على حقوق العباد أو يهمل بعض حقوق الله في نظير أنه يصلي أو يصوم .

وقد ورد في الصحيح أن بعض العبادات كالصلاة والصوم والصدقة تكفر الذنوب، ولكن التحقيق على أنها تكفر الصغائر أما الكبائر فلا تكفر إلا بالتوبة، والتوبة بالنسبة لحقوق العباد هي التحلل من المظالم بأن يرد إليهم حقوقهم الذي أعتدى عليهم فيها أو يسامحونه .

يدل على ذلك ما رواه مسلم " الصلوات الخمس كفارة لما بينها ما أجتنبت الكبائر "[3]

وقد فسر هذا الحديث الشريف على وجهين أحدهما أن الصلاة تكفر الذنوب الصغائر التي بين الصلاة الأولى والثانية وهكذا ، ولا تكفر الكبائر، والثاني أن أجتناب الكبائر شرط في كون الصلاة مكفرة وبذلك يكون من

[1] سورة الزلزلة أية 7،8
[2] فتيح الباري المرجع السابق ص 15
[3] النووي : المنهاج في شرح صحيح مسلم حـ 4ط دار المعارف 1993 ص 288 .

أجتنب الكبائر وصلى أمن شر الصغائر، أما إذا صلى مع أرتكاب الكبائر فصلاته لا تكفر الصغائر لإخلاله بالشرط .[1]

وحتى تتم الفائدة ينبغي التنبه على أن هناك بعض من الجهلاء بأصول الدين، يحرصون على حضور ما يسمونه بمجالس الذكر، وذكر الله منه براء، فينشدون الأناشيد التي لا علاقة لها بالدين ويهملون في نظافة ثيابهم معتقدين أن ذلك عبادة لله وزهداً في الدنيا .

فهؤلاء يتركون الفرص التي يعاقبون على تركه ويحرصوا على ما لم يكلفوا به، ولو نظرت إلى حقيقة نفوسهم لوجدتهم إنما يقوموا بما تشتهيه أنفسهم من طرب ورقص ونحو ذلك معتقدين أن هذا عبادة لله فهذا نوع أخر من الغرور نتيجة الجهل بأحكام الدين .

المطلب الثالث: الغرور بالمال والولد

1- الغرور بالمال :

حث الإسلام على اكتساب المال وإنفاقه بالوسائل المشروعة، وحذر من الفتنة بالمال إن كثر فقال تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب "[2]

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم مثالاً على من أغتر بكثرة ماله، فأنكر على الله تعالى أنه هو الرزاق والمالك للمال، وما الأنسان إلا خليفة لله في هذا المال، وهو قارون الذي صور له غرورة أنه أكتسب المال بمهارته وعلمه فقال " أنما أوتيته على علم عندي "[3]

فكانت نهاية هذا الغرور أنه خسف الله به وبداره الأرض كما جاء في قوله تعالى " فخسفنا به وبداره الأرض "[4]

هناك صورة أخرى للغرور بالمال تتمثل في قيام المرء بأنفاق جزء من ماله في بعض أعمال البر التي يميل إليها طبعه وتشتهيها نفسه، كأن يقوم ببناء مسجد أو معهد أو مستشفى تخلد ذكراه وتزيد أحترامه بين الناس،

[1] نفس المرجع السابق 289.
[2] سورة آل عمران أية 13
[3] سورة القصص أيه 79
[4] سورة القصص أية 80

وفي ذات الوقت يترك زكاة ماله المفروضة عليه، أو يقصر في الأنفاق على أهله، أو يهمل صلة رحمة وبر اليتامى والمساكين من جيرانه .

لا شك أن صاحب هذا العمل يفعل ما تسكن إليه نفسه ويميل إليه طبعه لشبهة فاسدة ألا وهي أن ما أنفقه على هذه المشروعات يعتبر خيراً يغنيه عن باقي الواجبات ويكفي لنجاته عند الله .

2- الغرور بالولد :

كما أن المال وسيلة للغرور كذلك الولد، يقول تعالى " وأعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم "[1]

ويبين لنا القرآن الكريم كيف يكون الغرور بالولد، قال تعالى " وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين "[2]

زعم هؤلاء أن كثرة المال والولد سيؤدي لنجاتهم يوم القيامة، وهذا الزعم ما هو إلا نتيجة الجهل والغرور، فصور لهم غرورهم أن الله تعالى رزقهم المال والولد لكرامتهم عليه وفضلهم عنده، فلا يعذبهم أو يؤاخذهم بذنوبهم .[3]

وشر ما يترتب على الغرور بالدنيا وزينتها من أموال وأولاد الكفر بالله تعالى أو عصيانه .

قال تعالى " ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا . قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين "[4]

المبحث الثالث : وسائل حماية النفس من الغرور

تمهيد :

[1] سورة الأنفال أية 28
[2] سورة سبأ أية 35
[3] تفسير القرآن العظيم : المرجع السابق ص 311
[4] سورة الأنعام أية 30

أكـد الإسـلام علـى ضـرورة مجاهـدة الـنفس حتـى تسـتقيم لأمـر الله عـز وجـل، فـالنفس أمـارة بالسـوء، وهنـاك العديـد مـن الوسـائل التـي بأتباعهـا يزيـد فـي الأنسـان الجانـب الإيمـاني وتسـاعده علـى جهـاد نفسـه وبالتـالي تبعـده عن الغرور الآفة المهلكة المحبطة للعمل .

وفي هذا المبحث سنستعرض لأهم هذه الوسائل على النحو الآتي :-

- المطلب الأول : دوام النظر في كتاب الله وسنة نبيه
- المطلب الثاني : دوام حضور مجالس العلم
- المطلب الثالث : دوام محاسبة النفس

المطلب الأول : دوام النظر في كتاب الله وسنة نبيه

مـن المعلـوم أن المداومـة علـى تـلاوة كتـاب الله ومدارسـة حـديث النبـي ﷺ، يـذّكر المـرء بتحـذير الله تعـالى للمغرورين بالأفراط في الرجاء وطول الأمل وفتنة المال والولد .

قـال تعـالى " يـا أيهـا الإنسـان مـا غـرك بربـك الكـريم "[1] فكمـا سـبق أن ذكرنـا أن طـول الأمـل فـي البقـاء فـي الـدنيا مـذموم وصـاحبه مغـرور إذا تـرك العمـل الصـالح . أمـا طـول البقـاء مـع حسـن العمـل لـيس مـذموماً " خيـركم مـن طال عمره وحسن عمله "[2]

كـذلك هنـاك العديـد مـن الآيـات الكريمـة تحـذر مـن هـذه الآفـة سـبق ذكرهـا، ونـذكّر القـارئ العزيـز بقولـه تعـالى " ومـا الحيـاة الـدنيا إلا لعـب ولهـو وللـدار الأخـرة خيـر للـذين يتقـون أفـلا تعقلـون "[3] ، وحتـى يسـتطيع المسـلم العمـل بمـا جـاء بكتـاب الله تعـالى عليـه مدارسـة الحـديث الشـريف، فكمـا يقـول علمـاء أصـول الفقـه أن السـنة النبويـة هـي المصـدر الثـاني للتشـريع بعـد القـرآن الكـريم، وهـي إمـا شـارحة ومفسـرة للقـرآن الكـريم، أو مقـررة ومؤكـدة لمـا جـاء بكتـاب الله، أو منشـئة لحكـم جديـد لـم يـأتي بكتـاب الله تعـالى بمـا للنبـي ﷺ مـن سـلطة التشـريع الممنوحـة لـه مـن الله عـز وجـل " ومـا أتـاكم الرسـول فخـذوه ومـا نهـاكم عنـه فـانتهوا "، فهنـاك العديـد مـن الأحاديـث الشـريفة التـي تحـذر من الغرور وعواقبه .

---

[1] سورة الأنفطار آية 6
[2] نيل الأوطار المرجع السابق جـ 2 ص 13
[3] سورة المائدة آية 32

يقول ﷺ " قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعزة إزاري فمن نازعني واحداً منهما القيه في النار "[1]

وقوله ﷺ " ولقاب قوسين أحدكم أو موضع قدم – يعني سوطه – من الجنة خير من الدنيا وما فيها "[2]

فمثل هذه التحذيرات الواردة في القرآن الكريم وحديث النبي ﷺ تُخلق في نفس المؤمن الخوف من الله تعالى وأخذ العبرة مما حدث لأهل الغرور في الأمم السابقة كفرعون وقارون وإبليس ..... الخ.

وخوف الله تعالى أفضل الوسائل لحماية النفس من الوقوع في الغرور " ولمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فأن الجنة هي المأوى "[3]

المطلب الثاني : دوام حضور مجالس العلم

ذكرنا في المطلب السابق أن دوام النظر في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ من أهم الوسائل لحماية النفس من الغرور، إلا أن ذلك مرتبط بمداومة حضور مجالس العلم وملازمة العلماء، حتى يتبين للمرء ما ا شكل عليه من الآيات والأحاديث أو تعذر فهمه .

يقول النبي ﷺ " ما أجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه "[4]

وقوله ﷺ " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع "[5]

أليس في أوامر سيد المرسلين ما يبعث في النفوس بذل الأموال والتضحية بالراحة من أجل طلب العلم الذي يفضي لسعادة الدنيا والأخرة .

المطلب الثالث : دوام محاسبة النفس

سبق أن ذكرنا أن من الأسباب المؤدية للغرور أهمال محاسبة النفس فاذا أزال الأنسان هذا السبب أبتعد عن الغرور، فالسبب كما يعرفه علماء الأصول، ما يلزم من وجوده وجود الحكم ومن عدمه عدم الحكم .

[1] سنن أبي داوؤد المرجع السابق ص 126
[2] فتح الباري شرح صحيح البخاري المرجع السابق جـ 7 ص 511
[3] سورة النازعات آية 40
[4] نيل الأوطار المرجع السابق جـ 1 ص 114
[5] فتح الباري : المرجع السابق جـ 1 ص 426

لـذلك إذا التـزم الشـخص بمحاسـبة نفسـه يومـاً بيـوم أبتعـد عـن الغـرور يقـول تعـالى " يـا أيهـا الـذين أمنـوا أتقـوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد " [1]

الخاتمــة

الحمـد لله الـذي بتوفيقـه وحـده، ثـم الانتهـاء مـن عـرض أهـم العناصـر الأساسـية لموضـوع البحـث، راجيـاً ا لمـولى عز وجل أن يؤدي الغاية التي من أجلها بذلت هذا الجهد المتواضع .

فأهم ما توصلت إليه خلال البحث :-

أولاً : الغـرور طبقـاً للتعريـف الـراجح هـو " سـكون الـنفس إلـى مـا يوافـق الهـوى ويميـل إليـه الطبـع لشـبهة فاسـدة "، فـالغرور أذن مـرض نفسـي، يحتـاج صـاحبه للعـلاج وذلـك بأتبـاع الوسـائل اللازمـة لحمايـة الـنفس منـه، كـدوام مدارسـة كتـاب الله تعـالى وسـنة نبيـه علـى أيـدي العلمـاء المتخصصـين، ومحاسـبة الأنسـان نفسـه حتـى تبتعـد عـن الهـوى الفاسـد ويجعـل هواهـا طبقـاً لشـرع الله " لا يـؤمن أحـدكم حتـى يكـون هـواه تبعـاً لمـا جئـت بـه ".حـديث حسـن صحيح .

ثانيـاً : الغـرور يفصـل الأنسـان عـن الواقـع، فيجعلـه يتعـالى عـن النصـح مـن الأخـرين، وعـدم أكتشـاف مسـاوئ النفس من جشع وحرص على الدنيا أو أبتداع في الدين بغير علم .

ثالثـاً : للغـرور أقسـام، غـرور بالطاعـة وغـرور بالمـال و الولـد، وأخطرهـا علـى المجتمـع الغـرور بـالعلم " فذلـة العـالِمِ يذل بها عالمَ ".

رابعاً : الغرور هو أساس كل فساد لأنه يؤدي إلى الكفر أو العصيان لله عز وجل .

[1] سورة الحشر آية 18

المراجع

1- القرآن الكريم .

2- أبن حجر العسقلاني : فتح البارى شرح صحيح البخاري مطابع بولاق – القاهرة 1950.

3- أبن فارس : معجم مقاييس اللغة تحقيق عبدالسلام محمد هارون ط 1999 دار المعرفة بيروت .

4- أبن كثير : تفسير القرآن العظيم طبعة دار الشعب – القاهرة – ط 1995.

5- أبن منظور : لسان العرب طبعة بيروت – 1979.

6- ابوجعفر بن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن طبعة دار التراث

7- ابوحامد محمد الغزالي : أحياء علوم الدين دار المعرفة بيروت .

8- ابوعبدالله بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن طبعة 1988 دار المعارف مصر .

9- ابو عبدالله أحمد شعيب النسائي : سنن النسائي – القاهرة ط 1317 هـ .

10- عز الدين بن عبدالسلام : مقاصد الرعاية لحقوق الله : تحقيق أياد الطباع دار الفكر – دمشق – سوريا.

11- علي البدري أحمد الشرقاوي : الأمام مالك وأثره في الفقه الأسلامي – رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر مصر .1974.

12- محمد بن علي الشوكاني : نيل الأوطار شرح مفقهي الأخيار – طبعة دار المعارف 2002.